

تفسير البحر المحيط

@ 309 @ معصف ومعصفة ، ووصفت هذه الريح بالعصف وبالرخاء والعصف الشدة في السير والرخاء اللين . ف قيل : كان ذلك بالنسبة إلى الوقت الذي يريد فيه سليمان أحد الوصفين فلم يتحد الزمان . وقيل : الجمع بين الوصفين كونها رخاء في نفسها طيبة كالنسيم عاصفة في عملها تبعد في مدة يسيرة كما قال تعالى { غُدُوًّا وَحَدُوًّا } وَرَوَاهُ شَهْرُ . وقيل : الرخاء في البداية والعصف بعد ذلك في التقول على عادة البشر في الإسراع إلى الوطن ، وهذا القول راجع إلى اختلاف الزمان وجريها بأمره طاعتها له على حسب ما يريد ، ويأمر . .

و { الأَرْضُ } أرض الشام وكانت مسكنه ومقر ملكه . وقيل : أرض فلسطين . وقيل : بيت المقدس . قال الكلبي كان يركب عليها من اصطخر إلى الشام . قيل : ويحتمل أن تكون { الأَرْضُ } التي يسير إليها سليمان كائنة ما كانت ووصفت بالبركة لأنه هذا حل أرضاً أصلحها بقتل كفارها وإثبات الإيمان فيها وبث العدل ، ولا بركة أعظم من هذا . والظاهر : أن { السَّيِّ بِأَرْكَذًا } صفة للأرض . وقال منذر بن سعيد : الكلام تام عند قوله { إِلَى الأَرْضِ } و { السَّيِّ بِأَرْكَذًا فِيهَا } صفة للريح ففي الآية تقديم وتأخير ، يعني إن أصل التركيب ولسليمان الريح { السَّيِّ بِأَرْكَذًا فِيهَا } عاصفة تجري بأمره { إِلَى الأَرْضِ } . وعن وهب : كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريريه ، وكان لا يقعد عن الغزو فيأمر بخشب فيمد والناس عليه والدواب وآلة الحرب ، ثم يأمر العاصف فيقله ثم يأمر الرخاء فتمر به شهراً في راحة وشهراً في غدوه وعن مقاتل : نسجت له الشياطين بساطاً ذهباً في إبريسم فرسخاً في فرسخ ، ووضعت له في وسطه منبراً من ذهب يقعد عليه وحوله كراسي من ذهب يقعد عليها الأنبياء ، وكراسي من فضة يقعد عليها العلماء ، وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين ، والطير تظله من الشمس ، وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح ، وقد أكثر الأخباريون في ملك سليمان ولا ينبغي أن يعتمد إلا على ما قصه الله في كتابه وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) . .

ولما كانت هذه الاختصاصات في غاية الغرابة من المعهود ، أخبر تعالى أن علمه محيط بالأشياء يجريها على ما سبق به علمه ، ولما ذكر تعالى تسخير الريح له وهي جسم شفاف لا يعقل وهي لا تدرك بالبصر ذكر تسخير الشياطين له ، وهم أجسام لطيفة تعقل والجامع بينهما أيضا سرعة الانتقال ألا ترى إلى قوله { قَالَ عِزِّرَيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَتَاكِ } .

بِهِ قَبِيلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ { وَ مِنْ } في موضع نصب أي وسخرنا { مِنْ } *
الشَّيَاطِينَ مَنْ يَغُوصُونَ { أو في موضع رفع على الابتداء ، والخبر في الجار
والمجرور قبله . والظاهر أن { مِنْ } موصولة . وقال أبو البقاء : هي نكرة موصوفة ،
وجمع الضمير في { يَغُوصُونَ } حملاً على معنى { مِنْ } وحسن ذلك تقدم جمع قبله كما قال
الشاعر : % (وإن من النسوان من هي روضة % .
يهيج الرياض قبلها وتصوح .
%) .

لما تقدم لفظ النسوان حمل على معنى من فأنث ، ولم يقل من هو روضة والمعنى {
يَغُوصُونَ} له في البحار لاستخراج اللآلئ ، ودل الغوص على المغاص فيه وعلى ما يغاص
لاستخراجه وهو الجوهر ، فلذلك لم يذكر أو قال له أي لسليمان لأن الغائص قد يغوص لنفسه
ولغيره ، فذكر أن الغوص ليس لأنفسهم إنما هو لأجل سليمان وامثالهم أمره والإشارة بذلك
إلى الغوص أي دون الغوص من بناء المدائن والقصور كما قال { يَغْمَلُونَ لَهُ مَا
يَشَاء مِنْ مَّحَارِبَ وَتَمَاثِيلَ } الآية . وقيل : الحمام والنورة والطاحون
والقوارير والصابون من استخراجهم . .
{ وَكَذَٰلِكَ لَهُمْ حَافِظِينَ } أي من أن يزيغوا عن أمره أو يبدلوا أو يغيروا أو
يوجد منهم فساد فيما هم مسخرون فيه . وقيل